جدلية العلاقة بين الأنا والآخر عند محمد عمارة

أ.م.د ناصر محمد عبد اللطيف المهدي (*)

ملخص البحث

عالج محمد عمارة إشكالية الأنا والآخر، عن طريق رفض نظرية صراع الحضارات، وبيان تهافتها، وقدم رؤيته لحوار الأنا مع الآخر، حواراً يسهم في تجاوز التنازع والاختلاف، عن طريق أطروحات مهمة في الفكر الاسلامي مثل: مفهوم الأمة، ذلك المفهوم الذي يتسع ليشمل كافة الأعراق، والقوميات، والديانات المختلفة مع الأنا، حتي تنصهر معه تحت مظلة الأمة الجامعة. كذلك معني التعددية، الذي يعني قبول الأنا بتعدد الحضارات والثقافات والأيدولوجيات، المختلفة معها، بما يؤكد العلاقة الصحية مع الآخر وأيضاً، الموقف من الآخر الديني الكتابي وغير الكتابي الذي يتسم بقبول ، الأنا للأديان والمعتقدات المختلفة معها، واعتبارها جزءاً من الأمة الإسلامية ومتمتعة بكافة حقوق المواطنة الأممية، وأخيراً نظرية محمد عمارة التي تنصهر فيها المقولات السابقة وهى التدافع الحضاري بديلاً عن الصراع الحضاري، ذلك أن التدافع هو سنة كونية إلهية ثابتة بين البشر علي اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومللهم ودياناتهم، وأنه يرتبط ارتباطًا وثيقاً بالتوكل وليس التواكل، وأهم النتائج هي أن حوار الأنا والآخر يجب أن يكون علي أرضية متكافئة، فلا يكفي أن تظل الأنا في موقف المدافع والمبرر لمواقفها علي الدوام، بل يجب أن تنتقل من هذا الموقف إلي موقف القوي والقادر علي المواجهة والهجوم حضارياً.

كلمات مفتاحية: الأنا – الآخر – الآخر الديني- التعددية – الأمة- التدافع الحضاري.

(*) أستاذ م الفكر العربي والاسلامي الحديث- كلية الآداب – جامعة سوهاج – مصر.

(Summary)

Muhammad Amara addressed the problem of the self and the other, by rejecting the theory of the clash of civilizations, and demonstrating its weakness. He presented his vision of the dialogue of the self with the other, by clarifying important statements in Islamic thought, such as: the concept of the nation, that expands to include all different races, nationalities, and religions with the ego, until they fused with it under the patronage of the unifying nation. Likewise, the concept of pluralism, which means the ego's acceptance of the multiplicity of sects, civilizations , and cultures that differ with it and coexist perfectly with the other. Also, the position on the religious other, both written and unwritten, which is characterized by accepting the ego that differs from him in religion and considering him as part of the Islamic nation, enjoying all the rights of international citizenship. And finally, Muhammad Amara's theory that The previous statements are fused in it, which is the civilizational stampede as an alternative to the civilizational conflict, because the stampede is a divine law established between human beings of different colors, races, sects and religions. The most important results from the dialogue of the self with the other that they must be equivalent and the ego shouldn't remain in the position of defender and justifier of its positions. Rather, it must move to the position of the strong and capable of confrontation and attack in a civilized manner.

Keywords: the self - the other - the religious other - pluralism - the nation – the civilizational stampede.

المقدمة:

إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر، هي الوجه الآخر لصدام أو صراع الحضارات، كما أنها ليست وليدة الحضارة الغربية الحديثة، فقد كان لها إرهاصات فكرية عبر مختلف المراحل التي مرت بها هذه الحضارة في تطورها التاريخي، فقد بدأت ــ تقريباً ــ مع الحضارة اليونانية ومفهوم " دولة المدينة " في أثينا، واستمرت في الحضارة الرومانية " مبدأ النبلاء والعبيد " حتي وصلت ذروة هذا الصراع مع الحضارة الأورو أمريكية، التي أصبحت فيها القضية علي قدر كبير من التعقيد والتشابك ؛ مما أدي إلي انقسام فلاسفة التاريخ والمنظرين السياسيين حولها إلي فريقين: الأول هو القائل بحتمية الصراع، نظراً لوجود حضارات أفضل من غيرها وهي التي يجب أن تكون لها الغلبة والسيطرة علي ثقافات الآخرين وحضاراتهم، ويري هذا الفريق – وهو الأكثر تأثيراً وانتشاراً – أن مركزية العالم تتمثل في حضارة بعينها، وهي الحضارة الغربية. ويمثل هذا الفريق " فوكو ياما " (١٩٥٢م - ....) و" صموئيل هنتنجتون " (١٩٢٧-٢٠٠٨ م)، وغيرهم من المنظرين السياسيين، ناهيك عن الجذور الفلسفية لهذه النظرية الموجودة عند " هيجل " (١٧٧٠-١٨٣١ م) و"ماركس" (١٨١٨- ١٩٨٣ م) مثلاً، تلك الجذور التي مثّلت الأرضية التي أثمرت هذه النظرية . أما الفريق الآخر، هو القائل بضرورة وجود حوار بين الحضارات ــ وهو الأقل تأثيراً وانتشاراً ــ يقوم علي احترام الآخر من منطلق الشراكة في مسيرة البناء الحضاري الإنساني، مثل" هيردر" (١٧٤٤-١٨٠٧ م) و" اشبنجلر"(١٨٨٠-١٩٦٣م) و" أرنولد تـوينبي" (١٨٩٩- ١٩٧٥م) وغيرهم من فلاسفة التاريخ. ولذلك قام الصراع بينها وبين الحضارة العربية الإسلامية، نظراً لما بينهما من اختلافات أيديولوجية، ودينية، وثقافية، وتاريخية، ليس لهذا السبب فحسب، بل لأن دول الشرق العربي الإسلامي – في نظرنا- وإن كانت قد تحررت من الاحتلال أو الانتداب العسكري الغربي – بالفعل – ولكنها لم تتحرر منه علي المستوي الفكري، فما زال الآخر يؤدى دوراً مهماً في تشكيل سياسات الأنا

وتوجهاتها، ويتدخل ـ في غالب الأحيان ــ بدافع السيطرة الأيديولوجية بهدف إعادة بناء العالم من جديد وفقاً لتنظيراته ومصالحه علي مختلف المستويات. وإن كان هذا التحرر ـ الصوري ـ لم يكتمل في حد ذاته، إذ إن وجود قضية الصراع العربي والفلسطيني – الإسرائيلي، هو أحد تلك الآثار السيئة لذلك الاستعمار والانتداب الغربي، التي تذكرنا دائماً بصراع أو صدام الحضارات.

ومفكرنا د. محمد عمارة (١٩٣١ - ٢٠٢٠ م) من أكثر المفكرين العرب انشغالًا بهذه القضية، واهتماماً بالجذور الفكرية لها، ومحاولة علاجها علاجاً تاريخياً، وهو ما يلقي بظلاله علي الواقع الحضاري والفكري المعاصر، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- كيف فسر محمد عمارة رؤية الفلاسفة الغربيين لصراع الحضارات ؟

٢- ما الحلول التي طرحها لعلاج مشكلة صراع الأنا والآخر ؟

٣- هل ما طرحه من حلول قابله للتنفيذ علي أرض الواقع، أم أنه ضرب من الخيال ؟

٤- كيف يمكن الاستفادة من هذه الحلول في معالجة مشكلات الحاضر والمستقبل في جدل الأنا مع الآخر ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات نناقش عند محمد عمارة الأطروحات الآتية:

موقفه من صراع- صدام الحضارات، ثم الأركان الثلاثة التي شكلت أرضية الحوار بين الأنا والآخر وهى: مفهوم الأمة، ومعنى التعددية، وصورة الآخر الديني، ثم نظرية التدافع الحضاري التي انصهرت فيها هذه المقولات.

صراع أو صدام الحضارات

بداية يقر محمد عمارة إن صراع أو صدام الحضارات، نظرية مرتبطة بالآخر الأوربي أكثر من ارتباطها بالأنا العربي ـ الإسلامي علي وجه الخصوص، إذ أن البداية من الجذور الفلسفية والفكرية التي قامت بالتنظير لهذا الصراع، فقد ذهب " هيجل " في فلسفته للتاريخ إلي القول بأن كل عصر جديد ينسخ ما قبله من عصور قديمة، وأن هذا

النسخ هو نوعاً من التطور الذي يحدث من خلال الصراع الذي يُفني كل شيء سبقه، (١)

ثم جاءت الماركسية حين أعلن ماركس أن الصراع الطبقي هو أساس العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وأن كل طبقة جديدة تصارع الطبقة القديمة، بل وتقهرها حتي تأخذ مكانها ويتحقق لها المميزات التي كانت تمتلكها الطبقة التي صارت مصروعة أو مضطهدة , وقد حاول ماركس تطبيق هذه النظرية والتسويق لها علي المستوي العالمي، حتي ولو كان في ذلك إلغاءً لخصوصية الثقافات والأمم. (٢)

ومن بعدهم جاءت نظرية دارون (١٨١٩- ١٨٨٢ م) في التطور أو النشوء والارتقاء، التي اعتمدت علي أن الأحياء في هذا العالم قد عاشت بفضل صراعها مع الأضعف، الذي تغلبت عليه، لأنها هي الأقوى، وهكذا فإن الحياة لا يستحقها إلا القوي الذي يصارع ويهزم بلا قيد أو شرط لهذا الصراع. (٣)

أما الصورة الأكثر وضوحاً وتأثيراً في صراع الحضارات فقد كانت في الفلسفة المعاصرة علي يد " فوكو ياما " الذي انتشرت مقولته عن نهاية التاريخ لسبب واحد، هو سيطرة النموذج الليبرالي الغربي وقيامه علي الرأسمالية التي جعلته متفوقاً اقتصادياً بالدرجة الأولي، وصار كذلك عسكرياً، وبناءً عليه أصبح من حق الغرب نشر فكره بين ربوع العالم دون اعتبار لوجود أية ثقافة قد لا يناسبها ذلك النموذج. (٤)

وبصورة أكثر تخصيصاً، أوضح فوكو ياما نظرته إلي العالم الإسلامي، فرأي أن به طائفة لا تقبل الحداثة الغربية وهي خطيرة، والتغلب عليها لا يمكن أن يتحقق من الخارج، لأنه سيلقي مقاومة شديدة، ولكن يتم ذلك من خلال الليبراليين في المجتمع الإسلامي، الذين يؤيدون الفكر الغربي، ويرغبون في تطبيقه، وهو شرط عندهم للتقدم(٥)

وجاء من بعده " صموئيل هنتنجتون " ، الذي أعلن صراحة أن هناك ثقافات وحضارات متعددة، لكن فيما يتعلق بعلاقة الغرب بالإسلام، فهي مُحاطة بالصراع منذ أكثر من سبعة قرون حتي الآن، بل

إن هنتنجتون تجاوز الماضي ليتنبأ بالمستقبل الصدامي، فيري أن مركز الصراع سوف يستمر وهذا أمر حتمي، وعلي الغرب أن يُوجد قوته ويستعد لذلك الصراع، مع السعي الدائم إلي محاولة ضم العديد من الدول تحت لوائها، ثقافياً، والقبول بالنموذج الغربي. (٦)

واللافت للنظر مما سبق وخاصة الكتابات المعاصرة لفوكو ياما وهنتنجتون – فيما يري محمد عمارة – أنها لم تكن تعبيراً عن وجهة نظر بعض المُنظرين أو فلاسفة التاريخ فحسب، بل إنها صدرت من مراكز الدراسات الاستراتيجية الأمريكية، الذي تعتمد عليه أمريكا في تحديد سياستها مع الآخر، وهذا هو مكمن خطورة هذه النظرية، التي كان من أثرها الواقعي اندفاع الغرب نحو الاستعداد العسكري والتكتل السياسي وفي المقابل العمل علي إضعاف القوة العسكرية للشرق العربي والاسلامي ووضع العراقيل التي تعيق تقدمه وتعزز قوته وتصنع منه كياناً قادراً علي مجابهة الآخر. (٧)

وإن كان هذا هو الجانب السلبي في حديث منظري صراع الحضارات، فإن من إيجابياته أنه أزال القناع عن وجه الغرب الحقيقي، وذلك بصراحته ووضوحه في قوله بصدام الحضارات، بصورة واضحة دون مواربة أو تلاعب بالألفاظ، الأمر الذي مّثل صدمه فكرية لكثير من المفكرين العرب الحالمين الذين لم يتوقعوا مثل هذه التنظيرات الفكرية من الحضارة الغربية، ومازالوا يتحدثون عن الصورة المثالية لها. (٨)

ذلك هو تأريخ محمد عمارة – لصدام الحضارات وجذورها في الفلسفة الغربية، والتي يبدو من خلالها البعد الفلسفي والسياسي في التنظير لهذه الاشكالية، وإن كان هذا لا يمثل رأي كل فلاسفة التاريخ والمنظرين الغربيين – حتى وإن كان هو الغالب ــ لأن هناك مَن رفضّ مسألة صراع الحضارات، وما يسري علي مسألة صراع أو صدام الحضارات يسري علي موقف الاستشراق من الجنس السامي وما ينتجه من حضارة بمختلف نشاطاتها ومجالاتها، ذلك الرأي الذي يتوافق مع رؤية محمد عمارة في رفض صراع- صدام الحضارات.

بداية يري محمد عمارة نظرية صدام الحضارات نظرية متطرفة ومالت عن الحياد، لأن التطور سنة طبيعية في تطور المجتمعات والشرائع والأفكار، ولكن ليس بالضرورة أن يكون عن طريق الصراع، لأن هذا ليس وارداً في كل الحضارات التي لا تعتمد علي الصراع منهجاً في تطورها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن هذه النظرية تتغافل عن أن هناك عوامل ثابته وراسخة في تاريخ الأمم تلعب دوراً رئيساً في تشكيل هويتها، حتي لو أصابها التطور كسنة طبيعية من سنن الكون.(٩)

لذلك صاغ محمد عمارة نظريته في حوار الحضارات من خلال مقولات مهمة أبرزت فلسفته، وكانت هي الركائز التي اعتمد عليها في الحوار البناء والفاعل بين الأنا والآخر، وهي: مفهوم الأمة، والتعددية الحضارية، وصورة الآخر الديني، ونظرية التدافع الحضاري.

مفهوم الأمة:

يفرق محمد عمارة بين مفهوم " الأمة " عند الأخر وعند الأنا، فيري أن مفهوم الأمة في الحضارة الغربية ينطوي علي معان ودلالات تختلف عن تلك الموجودة عن نفس المفهوم في الحضارة العربية الإسلامية، ففي الحضارة الغربية، اختلف مفهوم الأمة حسب توجه المفسرين له، فتري الماركسية أن الأمة هي الجماعة التي تشترك في حياة اجتماعية واحدة، ويجمعها مكان معين، وتسود فيه ثقافة وفكراً خاصاً بها (١٠) وهناك من يحصرها في النشاط السياسي، فيري أن الأمة هي اشتراك أفراد ما في تقديم فروض الولاء والطاعة لنظام واحد، وقد لا يشتركون في نفس اللغة أو الدين ولكن تجمعهم أهداف واحدة ومصالح مشتركة (١١) كما أن هناك من يحصر مفهوم الأمة في العرق، أو الدم ، وعليه يقاس معيار الاندماج في هذه الأمة، والمثال الواضح لذلك هو الأمة اليهودية التلمودية التي تشترط في اليهودي أن يكون مولوداً من أم يهودية وأن ينتمي إلي السلالة اليهودية بغض النظر عن تدينه. (١٢)

ويصف محمد عمارة هذه المفاهيم، أنها مفاهيم مادية، تفرق أكثر مما تُجمع، ناهيك عن أنها تعريفات عنصرية أقرب إلى مفهوم الدولة منها إلي مفهوم الأمة، وهي لا تخدم العلاقة بين الأنا والأخر ولذلك فهي تختلف عن مفهوم الأمة في الفلسفة الاسلامية.

بداية لا يوافق محمد عمارة علي رأي المستشرق " ر. باريه R.paret" محرر " مادة أمة في دائرة المعارف الإسلامية الذي يقول متحدثاً عن مفهوم الأمة في الفكر الإسلامي:" إن الصبغة السياسية الغالبة في هذه الأمة الجديدة، إنما كانت مؤقتة، فلم يكن محمد (ص) يحس أن مركزه قد توطد في المدينة حتي استطاع أن يُخرج من جماعته السياسية الدينية أهل المدينة (خصوصاً اليهود) الذين لم يعتنقوا الدين الذي جاء به، وبمرور الزمن صارت أمته تتألف من المسلمين وحدهم، وصار يعتبر المسلمين أمة، ويؤكد صفاتهم الخلقية والدينية. " (١٣)

ومكمن الخطأ في هذا الفهم، هو الخلط بين "اليهود والعرب " الذين شملهم دستور المدنية الذي صاغه النبي (ص) بعد هجرته من مكة إلي المدينة، وهي قبائل عربية صريحة النسب العربي، وهم في ذلك يختلفون عن اليهود العبرانيين من أمثال بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة، الذين لم يشملهم دستور المدينة، ولكن كان بينهم وبين المسلمين نوع من الحلف أو العقد، وحينما نقضوا ذلك العقد، قاتلهم النبي وانتهي الأمر إلي إجلاءهم من المدينة، وهم في ذلك يختلفون عن القطاعات العربية المتهودة.(١٤)

ومن ثم فإن اتهام البعض بأن مفهوم الأمة في الفكر الاسلامي بات محصوراً في أمة الدين فقط، وأن حدوده وقفت عند المسلمين والمؤمنين دون سواهم، هو اتهام منافي للحقيقة، ولكن التوصيف الدقيق لما حدث هو أن صراعاً حدث بين دولة المدنية ، التي تحترم مفهوم الأمة دينياً وحضارياً وتقوم علي الاحتواء والمساواة بين الجميع من جهة، وبين دولة اليهود العبرانيين من جهة أخري، وعلي ذلك فإن هذا الحدث لا يمثل تراجعاً عن المفهوم المرن والمتميز للأمة الذي يخدم مصلحة الأنا والأخر معاً. (١٥)

وهكذا فإن تكوين الأمة من الناحية الدينية، كان تكويناً احتوائيا للأخر، علي الرغم من الاختلاف في العقيدة، وذلك أن الجماعة العربية المسلمة المنطلقة من شبه الجزيرة العربية لم تقيم حدوداً فاصلة بين الدين الناشئ وما صحبه من لغة، وثقافات، وبين البلاد المختلفة التي توجهت إليها، وما لديهم من تراث ثقافي يُصعب التخلي عنه، وإنما سعت إلي اندماج تلك الثقافات معهم، خاصة وأنهم يعيشون في مكان واحد ويواجهون تحديات واحده. (١٦)

وبالرغم من اختلاف الآخر وتنوعه، علي المستوي الديني والثقافي، فأن هذا لم يمنع من إمكان الوحدة السياسية معهم، فحتي لو خرجوا من دائرة الإيمان، فهذا لا يعني السماح لهم بالخروج من دائرة الوحدة السياسية وفي ذلك قوله تعالي: " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل علي الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون " « آل عمران – ٧٢»، فعلي الرغم من اختلافهم العقائدي ومكرهم، لم يأمر الله تعالي المسلمين أن يخرجوهم أو يعزلوهم عن الدولة التي يعيشون فيها، ومثلوا شريحة اجتماعية – كغيرهم من شرائح الأمة.(١٧)

وهذا يأتي في اطار بحث العلاقة بين ما هو ديني وبين ما هو حضاري في مفهوم الأمة، لأنه يمثل علاقة فريدة من نوعها، فهي علاقة وحدوية، لا تنكر التمايز، في داخل الإطار الحضاري المرن، الذي يسمح للتعددية بالتعايش والتفاعل داخل الاطار الديني. (١٨)

وعلي المستوي السياسي الخالص، فإن نشأة الأمة في الفكر الإسلامي لم تقص الآخر، بل احتوته، بداية من دستور المدنية ، الذي استطاع أن يسمي كل جماعة بما يلائمها ويلائم مواقفها الفكرية، وفي الوقت نفسه ربطهم بالمكان الذي يعيشون فيه، فقد كان في المدينة المهاجرين والأنصار وأمة اليهود، فكانوا هم البذرة الأولي للدولة الإسلامية وتوالت عليهم بعد ذلك أجناس وأعراق مختلفة واستظلوا جميعاً في ظل أمة واحدة. (١٩)

ويأتي الموقف المرن لمفهوم الأمة، دينياً وسياسياً، تماشياً مع تحديد المعيار الحضاري والثقافي للعروبة، كما حدده الإسلام، فقد اتسعت علي أثره الأمة والجماعة العربية لتضم وعلي قدم المساواة، كل الذين تعربوا بالفكر والحضارة والانتماء والولاء، مع الذين هم من أصلاب عربية صريحة، وانفتح معيار الأمة ومفهومها حتي يضم العرب غير المسلمين ويضم كذلك عرب الحضارة والثقافة من ذوي الأصول العرقية غير العربية، فلم تعد أرحام الولادة النسبية هي فقط أرحام الجنس والعرق، وإنما أصبحت العروبة الحضارية والفكرية والثقافية رحماً جديداً تُولد منه الأمة ميلاداً جديداً وفق هذا المعيار الحضاري الشامل. (٢٠)

وبهذا اتسع مفهوم الأمة في الفكر الإسلامي من الناحية المعيارية، واستوعب المواريث الحضارية القديمة، بالإحياء والتجديد، جنباً إلي جنب مع احتضان الجماعات التي تدخل دائرة الإسلام دينياً أو حضارياً، فتكونت بذلك دائرة الأمة ومفهومها القائم علي الاحتضان والاستيعاب (٢١) ؛ فأصبحت الأمة تعبر عن روح الجماعة، أياً كانت هذه الجماعة، مع تعدد الروابط، دون التقليل من أي رابط بينهم، لأن كل رابط له دور في الأمة ومسئوليه، لكن مع شرط استيعاب الآخر وضمه تحت راية الأمة، وهذه نقله نوعيه في مفهوم الأمة في الإسلام الذي يعترف بأحقية الآخر المختلف عنه، في الاستقلال الفكري. (٢٢)

وعلي ذلك فإن مفهوم الأمة في الإسلام" الأنا " يبدو واضحاً جلياً، إذا ما قُورن نفس المفهوم في الحضارة الغربية " الآخر "، ذلك أن إعادة النظر في هذه المقارنة عند محمد عمارة هو ضرورة لفهم الذات في علاقتها المتعددة والمركبة مع الآخر. (٢٣)

وفي هذا المقام يتضح موقف الحضارة الغربية، المتعالي، الذي تجسد منذ بداياتها الإغريقية وفي طورها الروماني، ففي أثينا عاصمة الديمقراطية اليونانية، جعلت من المواطن اليوناني في " دولة المدنية" هو المواطن الذي يتمتع بحقوق الديمقراطية الكاملة دون غيره من البشر، الذين لاحق لهم من الديمقراطية ولا نصيب لهم من أية حقوق

للإنسان، كذلك كان حال هذه الحضارة في طورها الروماني، فعلي الرغم من إبداعها القانوني، فإن هذا القانون حافظ علي حقوق الرومان فقط، أما غيرهم من الشعوب الأخرى، فقد كانوا " برابرة " لا حق لهم في أن يطبق عليهم قانون السادة الرومان.

وفي هذا يبدو الاختلاف بين هذه المفاهيم والمفهوم نفسه في الحضارة الإسلامية، فقد اتسع مفهوم الأمة حضاريا في مضمونها ونطاقها، الذي يعترف بالتعددية في الشرائع ويتعايش معها، ويعتمد ما لم يُنسخ منها، حتي يتم استيعابه وتمثيله في نسيجها الحضاري، لأن هذا المفهوم الذي يتقاطع مع التعددية لا يحتكر للمسلمين فقط طريق النجاة، وإنما يقر بتعدد السبل والمناهج والطرق " الشرائع " في إطار وحدة الدين، التي تعني التوحيد في الالوهية فحسب. (٢٤)

الخلاصة إن مفهوم الأمة عند محمد عمارة، لم يقف في الفكر الإسلامي عند أمة الدين، ولم يقف بعنصر الأمة وجنسها العربي بالمعني العرقي، ولم يقف بفكرية الأمة، وعلوم حضارتها، عند علوم الوحي والشريعة وإنما تجاوزها – وهي مصاحب لها – إلي علوم الحضارة وفنونها، وهذا الرأي يتناقض مع رؤية الكثيرين ومنهم ناصيف نصار، الذي رأي أن مرحلة ما هو حضاري تجاوزت ما هو ديني تجاوز المغايرة والاختلاف والانقطاع. (٢٥)

معني التعددية الحضارية:

يعُد مبدأ التعددية لبنة أساسية في جدار الثقة المتبادلة بين الأنا والأخر، وما يؤكد هذا المفهوم عند محمد عمارة، هو علاقة الدين الإسلامي بأمم الرسالات السابقة عليه، فقد أعلن الإسلام إيمانه " بالتعددية " و" التنوع " في إطار " الوحدة " فدين الله واحداً أزلاً وأبداً ومحمد رسول الله (ص) " رسول من عند الله مصدق لما معهم " « البقرة –١٠١ » من عقائد الدين ومقاصده، والقرآن " كتاب من عند الله مصدق لما معهم " « البقرة – ٨٩ » وفي العقائد قوله تعالي "شرع لكم من الدين ما وصي به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسي وعيسي أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" الشوري (١٣)

يقول محمد عمارة: " لقد مدّ هذا الإعلان عن وحدة الدين خيوط وأسباب التعددية التي تنحو نحو استيعاب ما يمكن استيعابه من المواريث الدينية لأمم الرسل السابقين، وزاد من متانة هذه الخيوط والأسباب ما أعلنه الإسلام من تعددية الشرائع الدينية أزلاً وأبداً، فإرادة الله في تعددية الشرائع والمناهج والسبل في إ اطار وحدة الدين ، الأمر الذي ميّز الإسلام فجعله يقبل التعايش مع أهل الشرائع السماوية الأخرى الكتابية، كاليهود والنصارى – ومن اعتبروا أصحاب كتاب، كالمجوس.. ثم قيست عليهم ديانات وضعية كديانات الهند والشرق الأقصى، تعبيراً عن المفهوم المرن والمفتوح للجماعة أو الأمة المتدينة غير المشركة والجاحدة – وتجسيداً لهذا المفهوم الذي أرساه الإسلام منذ ظهوره، وطور الفقهاء تطبيقاته وفق ظروف الزمان والمكان " (٢٦)

وفي سبيل الحفاظ علي هذه التعددية، باعتبارها رافداً مهماً من روافد حوار الأنا مع الأخر، لأنها تشكل الأرضية التي يتحاورون عليها، فإن الإسلام – كما يري محمد عمارة ــ يرفض كل أشكال المركزية الدينية، والقانونية، والحضارية، والعرفية، واللغوية، والاقتصادية.

فيما يخص" المركزية الدينية "، فيري أنها تتنافي مع تعددية الشرائع الدينية، التي هي سنة من سنن الله تعالي في الاجتماع الديني لا تبديل لها ولا تحويل، قوله تعالي " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين " «هود – ١٨»، فالله سبحانه خلقهم للتنوع والاختلاف، لكنه يريد لكل الملل والشرائع والديانات وحدة جامعة لتنوعها ورابطة ضابطة لاختلافها، هذه هي أصول الدين الإلهي التي اتفقت عليها كل الشرائع والنبوات والرسالات من آدم إلي إبراهيم، إلي موسي، إلي عيسي، إلي محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام. (٢٧)

وبذلك يتسع مفهوم الأمة الحضاري من ناحية المضمون والنطاق، الذي يعترف بالتعددية في الشرائع ويتعايش معها، ويعتمد ما لم يُنسخ منها، ويستوعبه ويتمثله في نسيجه الحضاري، لأن هذا المفهوم الذي يتقاطع مع التعددية لا يحتكر لأهله طريق النجاة، وإنما يقر بتعدد السبل

والمناهج والطرق" الشرائع" في إطار وحدة الدين التي تعني التوحيد في الألوهية فحسب.(٢٨)

ولذلك فإن من أساسيات الإيمان في الإسلام، هو الإيمان بكل أنبياء الله ورسله، وكذلك الكتب السماوية وليس فقط القرآن الكريم، الذي جاء مصدقًا لما سبقه من كتب سماوية، ولن يكتمل إيمان المسلم إلا إذا اعترف بالآخرين وساوى بينهم في الحقوق والواجبات، ذلك أن التكريم الإلهي في الإسلام هو لمطلق النفس الإنسانية ، لأن البشر على اختلاف الشعوب والقوميات والأجناس والألوان والثقافات والحضارات، هم من نفس واحدة مهما تنوعت شرائعهم وتمايزت ثقافاتهم، وهذا ما يفسر تفاعل الحضارة الإسلامية مع المواريث الحضارية القديمة، مثل: الفارسية، والهندية، والإغريقية، ومحاولة الاستفادة منها .(٢٩)

وفيما يخص" المركزية القانونية "، فإن الإسلام رفضها إيماناً منه بتعددية الشرائع الدينية بتعدد أمم الرسالات السماوية، التي تريد أن تجعل العالم كله خاضعاً لمنظومة قانونية واحدة، حتي تتمكن من إثارة الاعتراضات والاتهامات ضد فلسفات التشريع الأخرى المختلفة عنها والتي لا تنتمي إليها.

كذلك يرفض الإسلام" المركزية الحضارية "، التي تريد العالم كله حضارة واحدة، وتكرس لمبدأ صراع الحضارات، حتي يصبح العالم كله نمط حضاري واحد، والإسلام يريده منتدي حضارات متعددة ومتفاعلة في كل ما هو مشترك وإنساني عام. (٣٠)

ويرفض الإسلام كذلك " المركزية العرقية "، مركزية العرق واللون والجنس، عندما تكون مركزية الجنس الأبيض أو الأسود، أو أي عرق علي الأعراق الأخرى، لأن هذا من شأنه أن يؤدي إلي العنصرية العرقية التي تخلق طبقية للألوان والأجناس علي بعضها البعض، ذلك أن اختلاف الألوان في إطار الإنسانية الواحدة وتساويها جميعاً فيه، هو سنة الله تعالي وآية من آيات الخالق لكل هذه الألوان والأعراق والأجناس " ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاق ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين " «الروم – ٢٢ »(٣١)

ولهذا فقد أشركت الحضارة العربية كل الأقليات الدينية والثقافية في البناء الحضاري، وحررتها من قهر الآخرين لها، فأصبحت حضارتها هي حضارة الأمة على اختلاف مللها ونحلها ولغاتها ومذاهبها، الأمر الذى تفردت به، فأصبحت إسلاميتها جامعة لمواطنيها وليست مفرقة لهم.(٣٢)

كذلك يرفض الإسلام " المركزية اللغوية " التي تريد العالم لغة واحدة، فتنكر علي الأمم والقوميات الأخرى حقها في تعدد الألسنة واللغات، بل إن الإسلام ينكر المركزية اللغوية في إطار الدولة الواحدة، ولا يجيز حرمان الأقليات من استخدام لغتها القومية حتي تحافظ علي موروثها الثقافي، وذلك لأن التعددية اللغوية تؤدي إلي التعددية الثقافية، وبالتالي تكون مصدراً للثراء الفكري بين الأمم والقوميات المختلفة، لأن اختلاف وتعدد الألسنة واللغات هو آية من آيات الله وسنة في خلقه.(٣٣)

وبناءً علي اقرار الإسلام بالتنوع اللغوي، فإنه لا ينكر بالتبعية التنوع القومي، لأن" القوميات " دوائر" لغوية " ومن ثم " قومية " وعلي ذلك فإن الاسلام يعترف بالأخر القومي سواء في إطار الحضارة الإسلامية، أو في الدوائر الحضارية الأخرى، يعترف بهذا الآخر، ويتعارف عليه، ويتعايش معه، لا باعتبار أنه واقع مفروض عليه، ولكن باعتبار أنه سنة من سنن الله سبحانه وتعالي وإرادة تكوينية لخالق هذا الوجود.(٣٤)

ينكر الإسلام " كذلك المركزية الاقتصادية " التي تسخر المنظمات الاقتصادية الدولية لمصلحة حضارة الأقوياء ضد مصالح حضارة المستضعفين، تلك المركزية التي تجعل أبناء حضارة بعينها يحتكرون أكثر من ثمانين في المائة من ثروات العالم المعاصر، فيحدث الانفصام الواضح بين شعوب العالم المترفة في الغنى والأخرى المدقعة في الفقر.

ويؤكد محمد عمارة، أن هذا المنهج الإسلامي لا يسير ضد طبيعة التكوين البشري في التفاوت في الغني والفقر، غايه ما يريده هو تحقيق حد الكفاية لكل إنسان، عن طريق وضع إطار تكافلي يحكم هذا التفاوت

في الثروات بين الأمم، الذي يجعل العالم بمثابة الجسد الواحد الذي تتنوع أعضاءه في الكفاءة والأهمية والحجم والاحتياجات. (٣٥)

صفوة القول، فإن الباحث يتفق مع محمد عمارة، في أن مفهوم التعددية يتناقص مع المركزية، الأول يؤدي إلي حوار الأنا والآخر والثاني يؤدي إلي الصدام بينهما، لأن التعددية من أسباب الغني والثراء في ميدان الحضارة والثقافة عكس المركزية التي من شأنها الاقصاء والتنازع وبالتالي الصراع مع الآخر الذي يضعف الحضارة ويقوضها

صورة الآخر الديني

من الأهمية بمكان، الحديث عن صورة الآخر في الفكر الديني الإسلامي، لأنها الصورة الأوضح والأكثر تأثيراً في صراع الحضارات، وذلك نظراً لأن هناك قطاعاً كبيراً من المستشرقين المتعصبين يكرس لصدام وصراع الحضارات من منطق التعصب الديني، وأن بدايات حركة الاستشراق ظهرت علي يد بعض القساوسة والرهبان الذين درسوا الإسلام ولغته وآدابه، ومن هنا انطلقت بواكير العمل الاستشراقي في ظل كم هائل من الحقد والكراهية للإسلام، ومن أبرز الذين ساهموا في اشتعال نار التعصب الديني " بطرس المبجل " (١٠٩٤- ١١٥٦))، " وروجر بيكون "(١٢١٤-١٢٩٢ م) وريمون لول (١٢٣٥-١٣١٤ م) وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم. (٣٦)

وقد ساهم - في نظرنا – هذا التوجه في نقل صورة مشوهة ومبتورة عن الدين الإسلامي وعن المسلمين، ومنذ ذلك التاريخ ومازالت هذه الصورة عالقة في الذهنية الغربية، وتشكل الصورة السائدة والرائجة عن الاسلام والمسلمين اليوم، باعتبار أنه دين إقصائي، يرفض الآخر ولا يتعايش معه، وأتباعه كذلك، وغيرها من الاتهامات التي شكلت المسار الذي سارت فيه علاقة الأنا بالآخر وما تزال حتي الآن.

يري محمد عمارة أن النظرة الإسلامية للآخر الديني نابعة من الايمان، بأن دين الله واحد من آدم إلي محمد عليه الصلاة والسلام، وأن وجود التعدد والتنوع إنما هو في " الشرائع" والمناهج داخل عقائد هذا الدين الإلهي الواحد، أي أن كل أهل جميع الشرائع الدينية هم أسرة

واحدة، دينهم واحد، وشرائعهم متعددة، حتي إن القرآن الكريم يرفع هذا التنوع في الشرائع – داخل الدين الإلهي الواحد – من مستوي " الحق المشروع " في التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف إلي مستوي " السنة والقانون "، أي أن وجود " الآخر الديني " المتمايز والمختلف ليس حقاً يمكن التنازل عنه، أو يمكن زواله بدخول الجميع في شريعة واحدة، إنما هو قانون دائم وسنة إلهية لا تبديل لها ولا تحويل. (٣٧)

ذلك فإن القبول بالآخر والتعايش معه ليس مجرد قبول " بأمر واقع " وإنما هو القبول بسنة الله، والامتثال لإرادته، والتسليم بمشيئته " ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم " « هود – ١١٨، ١١٩ »، بل إن هذا التنوع والاختلاف في الرؤية الإسلامية والتأسيس القرآني هو آية من آيات الله سبحانه وتعالي " ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآية للعالمين. " « الروم – ٢٢ »، وزيادة علي ذلك، فقد جعل القرآن الكريم التنوع والاختلاف والتمايز قانون الحركة نحو التقدم، والباعث علي التسابق نحو الإصلاح في الدنيا والاخرة قوله تعالى " لكل جعلنا شرعة ومنهاجا، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون " «المائدة – ٤٨». (٣٨)

وكذلك فإن الإسلام لا يُلغي ما لدي الأخر الديني، ولا يدعوه إلي التخلي عن ذاته الدينية، غاية الأمر أنه يدعوهم إلي الصعود إلي درجة جديدة علي سلم رسالات الدين الإلهي الواحد وشرائعه، ومن يرى منهم البقاء علي ما هو عليه، فإن الإسلام لا يقهره ولا يكرهه ولا يتجاهله، وإنما يترك له حرية الاعتقاد الديني إلي حيث يتجاوز مستوي" السماح للآخر" بالبقاء علي دينه، إلي مستوي إقامة هذا الاعتقاد بحرية مطلقة، لذلك فإن المسلمين مطالبين في الدولة الإسلامية بتمكين غير المسلمين من إقامة عقائدهم – التي ُتنكر الإسلام – والحفاظ علي مقدساتهم، ولذلك عاشت جميع ألوان الشرائع والديانات السماوية والوضعية في ظل الحضارة الإسلامية، ولا يوجد في تاريخ الإسلام حرباً دينية قامت من

أجل الإكراه علي الدين.(٣٩) لأن الأصل في العلاقة مع الآخر والمخالف في العقيدة هو السلم والبر والقسط بالعدل، أما القتال والحرب، فإنهما حالة طارئة واستثنائية يفرضها عدوان غير المسلمين عليهم، بإكراههم وفتنتهم عن دينهم، أو اخراجهم من الأوطان والديار والتهجير بالاستعمار أو الاحتلال. (٤٠)

ويقر محمد عمارة قاعدة ذهبية إسلامية وهي قوله تعالي " لا اكراه في الدين " « البقرة -٢٥١ »، تلك التي لا تسري فقط علي أبناء الدين الاسلامي في تعاملاتهم فحسب، ولكنها تسري كذلك علي المخالفين في العقيدة، فقد حرر الإسلام الإنسان في تحصيله للإيمان من التأثيرات والخوارق وسلطان المأثورات والنصوص الدينية، بل ومن سيطرة الرسل والأنبياء، ومعني ذلك أنهم لا يملكون – أي الرسل والأنبياء – وسيلة لإجبار الناس علي طاعتهم وإجابة دعواهم، لأنهم مختلفون عنهم في التبصرة بسبل الهداية قوله تعالى: " قال يا قوم أرأيتم إن كنت علي بينة من ربي أنلزمكموها وأنتم لها كارهون " « هود- ٢٨» وقوله تعالي: " وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليهم بوكيل " « الأنعام - ٦٦ » (٤١)

وهنا وجب إزالة بعض الالتباس،عن حديث محمد عمارة عن تحرر الإنسان من سيطرة الرسل والأنبياء، فقد ذهب سيد حسين العفاني إلي أن محمد عمارة تجرأ علي التخلص من سلطة الأنبياء المنزلون من عند الله(٤٢) وإن كنا نري أنه لم يدعو إلي رفض الأنبياء والرسل، بقدر ما دعى إلي عدم الإكراه في الإيمان بهم، أو فرض سلطة معينة ترغم عدم المؤمنين بهم، الى الإيمان بهم، لأن هذا يتنافى مبادئ ومقاصد الدين الإسلامي، وهو مبدأ احترام العقل البشري وحقه في الاختيار دون ضغط أو اكراه أو تعسف في القبول أو الرفض، وعلي نفس المقياس تقاس فكرة محمد إقبال في انتهاء النبوة" التي قرر فيها " إن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلي إلغاء النبوة نفسها، وهو أمر ينطوي علي إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلي الأبد علي مقود يُقاد منه." (٤٣) هل هذا القول خروجاً منه على الدين

ودعوة إلي الغبطة والسرور بانتهاء البنوة ؟ العكس هو الصحيح، فقد أراد بهذه الفكرة الإقرار بأن المسلمين أصبحوا في وضع مفروض عليهم التفكير وإعمال العقل والبحث عن حلول لمشكلاتهم الحياتية من منطلق إنساني بحت، لأن حلول الوحي قد انقطعت بانتهاء النبوة، وهذا لا يعني رفض أو إنكار النبوة أو التقليل من منها بأي حال من الأحوال.

ولذلك يعتبر محمد عمارة أن فكرة الحرية الدينية مقدسة ويربطها بالذات الإلهية، ومعني ذلك أن الطريق إلي الله يكون من خلال العقل المتحرر من كل سلطة سوي الله، خاصة وأنه لا يوجد إكراه ولا إجبار علي الدين قوله تعالى " فمن اهتدي فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها، وما أنت عليهم بوكيل " «الزمر -٤١»، فالإيمان هنا هو تكليف للأحرار فقط، حتي لو كان فيه هدي وخير للناس، لأن الايمان ليس فقط تحرير من الكفر، وإنما هو كذلك حياة للإنسان قوله تعالى " أو من كان ميتاً فأحييناه " « الأنعام - ١٢٢»، وبالجملة فإن هداية الاسلام تصل بالإنسان إلي التحرير، ولذلك كانت الحرية من مقومات الدين، وصفة تليق بالمؤمن الذي يقدس حياته، ولا يسمح لأحد أن يعتدي علي حريته. (٤٤)

وبشيء من التخصيص، تطرق محمد عمارة إلي موقف الدين الإسلامي من الآخر الديني اليهودي والنصراني، فيقرر- بداءة – إن الإسلام كدين تتعدد فيه الملل والشرائع والديانات، وأن ظهوره علي مختلف الديانات ليس وراثة لما سبقه من شرائع بقدر ما هو ظهور للحلول الإسلامية لأن إيمان المسلم لا يكتمل إلا إذا آمن بكل النبوات والرسالات وكتبها وشرائعها، علي حين أن إيمان أهل هذه الأديان الكتابية يقف عند إيمانهم الذي يتوقف علي إنكار الآخرين، ولن يكتمل الايمان لديهم إلا بهذا الانكار لكل الآخر الديني. (٤٥)

فيما يخص الآخر اليهودي، فإن الدين الإسلامي يشكل بصورة مثالية له، فالصورة القرآنية الموجودة في الثقافة الإسلامية، تجاه اليهودية وشريعتها وكتابها هي صورة مثالية تجاه الآخر، ولم يقف الأمر عند هذه الصورة، ولكن المسلمين وحضارتهم ودولتهم

وتاريخهم، وفقه معاملاتهم لم يقفوا عند حدود التنظير فقط، بل إن الأمر تعدى ذلك إلي الممارسة والتطبيق العملي لهذه الصورة القرآنية منذ عصر النبوة وعبر تاريخ حضارة الإسلام. (٤٦)

والمثال العملي لذلك، هو الوثيقة الدستورية أو ما أُطلق عليه " الصحيفة.. الكتاب " دستور دولة المدينة المنورة، الذي وضعه الرسول (ص) عقب هجرته من مكة إلي المدينة، وفور إقامة الدولة، حتي يحدد حدود الدولة ومكوناتها وحقوق وواجبات مواطنيها، بمن فيهم الآخر اليهودي وليحدد كذلك المرجعية الحاكمة للدولة ورعاياها، فقد تحدثت هذه الوثيقة، في موادها المختلفة – التي زادت عن خمسين مادة – عن التنوع الديني في إطار الأمة الوليدة وعن المساواة بين الفرقاء المتنوعين.(٤٧) وقد جاء الحديث عن اليهود في أربعة عشرة مادة، وهي عبارة عن دمج اليهود في رعية الدولة واعتبارهم " أمة مع المؤمنين " المهاجرين والأنصار، مع تقنين حقهم الكامل في الاعتقاد الديني، الذي يختلفون فيه مع الإسلام والمسلمين، فنقرأ في هذه المواد الدستورية أرقي صور التقنين للاعتراف بالآخر، ومساواة الأقلية بالأغلبية، وتقرير التعددية الدينية في رعية الدولة الواحدة " ويهود أمة، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.. مواليهم وأنفسهم وأن بطانه يهود كأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (يُهلك) إلا نفسه وأهل بيته.. ومن تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة مع البر المحصن من أهل هذه الصحيفة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم، ينفقون مع المؤمنين ما داموا متحاربين.. علي اليهود نفقتهم وعلي المسلمين نفقتهم.. وأن بينهم النصر علي من حارب هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.. " (٤٨)

وعلي ذلك فقد كانت هذه الوثيقة – ولا تزال – أول عقد اجتماعي – سياسي – ديني، مطبقاً علي أرض الواقع وليس ضرباً من الخيال أو الافتراضات، هذا العقد لا يعترف بالآخر فحسب، ولكن يجعل هذا الآخر جزءاً من الرعية والأمة، أي جزءاً من الذات الحضارية، له كل الحقوق، وعليه كافة الواجبات التي لباقي مواطني الأمة. وبذلك قننت

الدولة الإسلامية، مبدأ الحرية الدينية والمساواة في حقوق المواطنة داخل الدولة الواحدة مع الآخر اليهودي. (٤٩) وذلك لأول مرة في تاريخ العلاقة بين أهل دين من الأديان وبين الآخرين " المنكرين له والجاحدين به "، هكذا عاش اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، وهذا ما لم يتحقق لهم في ظل أي أمة عاشوا فيها. (٥٠)

وفي المقابل كيف تعامل الآخر اليهودي مع الأنا الإسلامي، فقد سادت عنده النزعة العنصرية التي جعلت اليهود يحولون اليهودية عن روح الدين الإلهي إلي نسق فكري عنصري يرفض الآخر، كل الآخر، تلك اليهودية التي ليس لها علاقة بيهودية موسي ولا ببني اسرائيل التي فضلها الله علي العالمين، لأنها بعيدة عن كل ذلك وليس لها علاقة بالإيمان الديني، ولأن موقفها تجاه " الأغيار "، أيا كان هؤلاء الأغيار، وهم من غير اليهود – هو الإبادة والاضطهاد " لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم.. لأنك أنت شعب مقدس الرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين علي وجه الأرض " سفر التثنية إصحاح (٧:١، ٦،٧،١٤-١٦)، هذا هو المكون الأول للسلوك العنصري الذي يواجه العرب والمسلمين تجلياته المعاصرة علي أرض فلسطين المحتلة. (٥١)

علاوة علي ما ذكره محمد عمارة، فإن المسلمون، هم الذين وفروا الحماية لليهود من اضطهاد المسيحية لهم، في أحداث عظمى معروفة، مثل محاكم التفتيش في الأندلس (١٤٩٢م)،حيث التجأوا الى الخلافة العثمانية الإسلامية والمغرب العربي، ثم عمليات الإبادة النازية (١٩٣٩ـ ١٩٤٥م) حيث احتضنتهم الشعوب الإسلامية. (٥٢)

وفيما يخص الآخر النصراني، فإن محمد عمارة يقر بأن صورة عيسي في القرآن، أنه عليه السلام، الوجيه المبارك، المؤيد، وقد قال عنه محمد (ص) " أنا أولي الناس بعيسي ابن مربم " وعندما بدأت سلطة الدولة الإسلامية علي عهد النبي (ص) علي الرعية المتدينة بالنصرانية، قررت لهم الدولة الإسلامية بالكتب والمواثيق في حقوق وواجبات المواطنة في إطار الأمة الواحدة والرعية الواحدة (٥٣) ويتبلور ذلك في

الوثيقة الدستورية التي وضعها النبي (ص) لنصاري نجران عهداً لهم ولكل المتدينين بالنصرانية عبر الزمان والمكان. " لنجران وحاشيتها، وسائر من ينتحل النصرانية في أقطار الأرض جوار الله، وذمة محمد رسول الله علي أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.. أن أحمي جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم، وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح، وأن أحرس دينهم وملتهم أين ما كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي.. لأني أعطيتهم عهد الله علي أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما علي المسلمين، وعلي المسلمين ما عليهم.. حتي يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم. " (٥٤)

ويستنتج محمد عمارة من تحليل نصوص هذه الوثيقة القانونية المهمة، أنها اعترفت بالآخر الديني وقبلت به، وكرمته، ومكنت لخصوصياته واندمجت معه، وهذا ما لم نجده في وثيقة أخري خاصة بمواطني الدولة الواحدة عبر تاريخ الإنسانية بكافة مراحلها التاريخية، وتكمن أهميتها في التنوع والاختلاف في إطار وحدة الأمة، وذلك تجسيداً لفلسفة الدين الإسلامي في العلاقة مع الآخر، التي تحترم الدين – أي دين – ولا تتجاوزه في سبيل إقرار مبدأ المواطنة. (٥٥)

وقد ظل هذا المبدأ معمولاً به عبر تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، محافظة علي هذا النهج إزاء الآخر النصراني، الآخر في الدين والجزء العضوي في ذات الأمة والرعية، ذلك المبدأ الذي كفل لهم حقوق المواطنة، مع الحرية الكاملة في الاعتقاد الديني وفي إقامة عقائدهم وشعائرهم، بل إن المتأمل لهذه المبادئ يراها قد تتجاوز حد كونهم جزءاً من الأمة والرعية، إلي جعلهم – بالمصاهرة – جزءاً من أسرة المسلم، عندما تصبح الزوجة الكتابية سكناً للزوج المسلم ومكون أساسي للأسرة. (٥٦)

أما فيما يخص الآخر الديني – غير الكتابي، فإن الفكر الإسلامي تعامل معهم كتعامل أهل الديانات الكتابية، ولقد بدأ تطبيق دولة الخلافة الراشدة لهذه السنة، عندما دخل المتدينون بالمجوسية في إطار الرعية

الواحدة لدولة الخلافة، علي عهد عمر بن الخطاب (٤٠ قـ - ٢٣ هـ / ٥٨٤ -/٦٤٤ م) فعاملهم معاملة أهل الكتاب مطبقاً عليهم قول النبي (ص):"ُسن فيهم سنة أهل الكتاب " وعلي ذلك فقد تمت معاملة جميع الديانات الوضعية ومنتسبيها، معاملة الكتابيين عبر تاريخ الإسلام وحضارته. (٥٧)

هذا الموقف الواضح من الفلسفة الإسلامية، الذي يقبل التعددية والاختلاف ويقبل الآخر الديني، في حين أن الآخر النصراني يرفضه علي المستوي الديني والثقافي، وقد ازداد هذا الموقف تعصباً وعداءً، عندما تضافر الغرب مع الصهيونية، فأصبح بينهم شراكة حضارية وثقافية عميقة، بدأت فعلياً وعلي الأرض منذ عام ١٩٤٨ م ونتيجته ما يحدث في العصر الراهن من الاعتداءات المتكررة علي الشعب الفلسطيني (٥٨)

هذا هو موقف الحضارة الإسلامية من الآخر الديني، سواء أكان السماوي أو الوضعي، وقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالحرية الدينية، تلك الفكرة التي نالت النصيب الأكبر من انتقادات بعض الفلاسفة والمفكرين الغربيين، الذين لم يتحروا الدقة ــ في رأينا ــ في الحكم علي هذا الموقف من خلال دراسة أصول ومقاصد الدين الاسلامي، ولكنهم اعتمدوا علي واقع المسلمين وحياتهم المعاصرة، بكل ما فيها من ابتعاد عن تلك الأصول والمقاصد أو الاقتراب منها بدرجة أو بأخرى.

وعلي ذلك فإن محمد عمارة حاول تأكيد منهج الحضارة العربية الإسلامية في التعامل مع الآخر، من طريق توضيح قيم اخلاقية ومفاهيم إنسانية، تبنتها هذه الحضارة واقعاً وفعلاً عبر تاريخها الحضاري من خلال معنى الأمة، ومفهوم التعددية، وصورة الآخر الديني، تلك المفاهيم التي تثبت أن الحضارة العربية الإسلامية في كل المراحل التاريخية التي مرت بها، وفي علاقتها بالقوميات الأخرى المختلفة عنها، مثل حضارة فارس، وبلاد الهند، والحضارة اليونانية، حتي الحضارة الغربية الحديثة، التي فرضت نفسها بالقوة عليها، وفي علاقتها بالأديان السماوية الأخرى أو حتي المعتقدات الوضعية ، لم تكن هذه الحضارة

اقصائية، بل تعاملت مع القوميات والأديان المختلفة عنها من منطلق إنساني احتوائي لها، وكان أكبر دليل تاريخي علي ذلك ما تضمنته صحيفة المدنية ووثيقة النبي لأهالي نجران الكتابيين، من مواد دستورية ترقي إلي تحقيق مبدأ المواطنة الأممية بالمعني المعاصر لها.

وقد أخرج محمد عمارة كل ما سبق فيما اسماه التدافع الحضاري؛ تلك البوتقة التي انصهرت فيها كل هذه المقولات.

التدافع الحضاري

استبدل محمد عمارة نظرية التدافع الحضاري بنظرية الصراع أو الصدام الحضاري، فطرح حلاً واقعياً وليس مثالياً لهذه الإشكالية وهو التدافع الحضاري، فيقر بداية أن حياة الأمم والحضارات من الطبيعي أن تشهد نوعاً من التناقضات، وأن تسود فيها نوازع التغلب والاستعلاء والاستضعاف بين الأمم المختلفة، ولتجنب هذه النهاية يطرح نظريته في التدافع الحضاري بين الأمم، تلك النظرية التي تتوافق مع مبدأ التعددية الذي أقره الفكر الإسلامي بين الطبقات والأمم والحضارات، فهو يرفض الصراع سبيلاً لحل هذا الصدام الحضاري، لأن نتيجة هذا الصراع هو إفناء طرف للأخر، وفي هذا قضاء علي التعددية، لأن هناك منتصراً واحداً هو الفائز بالميدان والمتفرد بالساحة ولديه كل المميزات. هذا من ناحية، ومن ناحية أخري فإن رفض الصراع لا يعني الاستسلام والسكون، لأنه يؤدي إلي تقليد الضعفاء للأقوياء وتبعية المهزومين للمنتصرين، وهذا من شأنه – كذلك – أن يؤدي إلي زوال التنوع وذبول التعددية. (٥٩)

وهكذا فإن البديل الواقعي لهذا الصراع المدمر أو السكوت المقلد ، هو التدافع الحضاري، الذي هو حراك وسط بين " دمار الصراع " و"موات السكون والتقليد "، ذلك التدافع الذي يعني حل التناقضات والصراعات بالحراك الاجتماعي والسياسي والحضاري ؛ الذي يعني التنافس والتسابق بين الأفراد والأمم والطبقات والأحزاب والدول والحضارات، بحيث ألا ترتفع حدة هذا التنافس فتنقلب صراعاً يلغي فيه طرف الطرف الأخر وعندها تنتهي تعددية الفرقاء والأطراف

والأقطاب، وعلي الجانب الآخر، يجب ألا تنطفئ حرارة هذا التنافس فتتحول إلي سكون، وهو في الحقيقة استسلام تقليد المهزومين للمنتصرين. (٦٠)

ويقرر محمد عمارة أن غياب حالة التدافع الحضاري تعني حدوث الاختلال وسيادة الفساد وهي صريحة في الآية الكريمة عن الوضع الإنساني في حالة غياب هذا التدافع بين البشر " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لُهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرا " «الحج – ٤٠»، فالله سبحانه وتعالي أراد هذا الاختلاف، وأراد الابقاء عليه، بل وأقام التدافع لتحقيق هذا الاختلاف (٦١) الذي من شأنه أن يزيل حالة الاغتراب للإنسان ويدفعه إلي تحقيق غاية هذا العالم من الانسجام والتناغم مع المختلفين معه. (٦٢)

ذلك إن الإيمان بالاختلاف، إنما هو ترسيخ للتعددية التي جاءت بغرض حماية المقدسات ولو اختلفت، وحتي عندما ذكرها القرآن الكريم، يُلاحظ أن تحدث عنها بحسب الترتيب الزمني لا المكاني، وجاء ذكر المساجد في آخرها، وهذا دليل علي أسمي صور التعايش التي سبقت كل المعاهدات والاتفاقيات التي أمر الله عز وجل أتباعه بالحرص عليه، فلا توجد أنانية أو أثرة لفئة علي حساب الأخرى المختلفة عنها. (٦٣)

ويجب التنويه – عند محمد عمارة – أن خلق الله سبحانه وتعالي لهذا الاختلاف لم يكن عبثاً، وإنما لغاية وهدف، أهمها هي أن يجتاز المختلفين امتحانا في قبولهم لهذا الاختلاف، وأن يتبين كل واحد منهم كيف يسعي إلي تحقيق الخير في هذا العالم، وأن يكون هذا التسابق نزيهاً فيما بينهم، وأن يدرك هؤلاء المختلفون أن هناك جزاءً أخروياً علي احترامهم لهذا الاختلاف وقبوله والعيش بسلام في ظله، وهذا مصداقاً لقوله تعالي " لكل جعلنا منكم شرعاً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلي الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون". «المائدة – ٤٨ ». (٦٤)

وفي تحليل سيكولوجي للطبيعة البشرية، يرى محمد عمارة، أن البشر إذا اختلفوا تري كل طرف منهم يعتقد أنه الأصلح والأجدر، فيتجه إلي الأعمال التي تثبت تلك الجدارة والاستحقاق للمكانة التي يزعمها، وحفاظه علي تميزه واختلافه أثناء القيام بهذا العمل هو الذي ينمي الابداع، في حين لو لم يحرص علي تلك الخصوصية وذلك التميز لما سعي إلي ذلك الإبداع، واكتفي بأن يقلد الآخر طالما أنه يتساوى أن يُنسب إليه أو يُنسب إلي غيره الذي لا يختلف عنه، وهذه فطره الله التي خلق الناس عليها، والبشر في ذلك الاصلاح يتفقون في أمور بصفة عامة ويختلفون في بعض تفاصيلها، والاتفاق والاختلاف مطلوبان، بل شرطان لهذا الإصلاح والعمران. (٦٥)

كما ذهب محمد عمارة إلي أن التدافع الحضاري يُعد وسيلة لضبط التوازن الاجتماعي بين طبقات المجتمع علي اختلافه وتنوعه، وهذا مما يجعل المختلفين يؤمنون باختلافهم ويتفهمون سبب عدم وجود المساواة، ويلاحظون فروقاً في طباعهم، وبالتالي في تفكيرهم وأعمالهم وحاجاتهم، لذلك لا تتغلب طبقة علي طبقة أخري، كما حدث في أشهر الفلسفات الغربية، حينما سادت البروليتارية في الماركسية وسادت البرجوازية في الرأسمالية (٦٦)

وعلي ذلك فإن فلسفة التدافع هي الحل الإسلامي لصراع الحضارات، لأن دوام الصراع لا يمكن قبوله بأي صورة من الصور نظرياً أو عملياً، فلا توجد أمة هي الأقوى أو المصارعة دائماً وفقط، ولهذا كان من تشريعات الإسلام التعدد والتنوع، وليس هذا ناتج فكر ولا فلسفة ولا اجتهاد بشري، وإنما هو سنة الله التي شرعها في خلقه وعلي عباده الالتزام بها، حتي تكون هي الضابطة لاختلاف الأفكار والشرائع والحضارات (٦٧)

ويبتعد محمد عمارة بمفهوم التدافع عن عقيدة التواكل، فيري أن التدافع لا يُقصد به الوعد بنصرة المسلمين، غاية الأمر أن الله سبحانه يرشدهم إلي أن الحق هو الذي يدفع الباطل، والحق يحتاج إلي بذل المجهودات، وأن ذلك سنة من سنن الله في خلقه لا تبديل فيها، وهذا

شرط ليدفعوا عن أنفسهم واختباراً لهم " لتبلون في أموالكم وأنفسكم " « آل عمران – ١٨٦ »، وعليهم أن يبذلوا جهدهم لتحقيق هذا التدافع، لأن الله تعالي لم يكفل للمسلمين الحفظ والنصر والسيادة، لأنهم مسلمون، وإنما كفل لهم الجري علي سنة الله تعالي كغيرهم، فلا بد لهم من الاستعداد للمدافعة دائماً. (٦٨)

كذلك فإن التدافع لا يهدف إلي فناء الآخر وظلمه، وإنما هدفه هو إقرار العدل وإعطاء الحق كاملاً للطرف الآخر المخالف، ليساهموا معاً في تغيير الواقع إلي الأفضل، وتتحول العلاقة بين الطبقات إلي علاقة إيجابية تقوم علي التعاون والتكامل. (٦٩)

كما أن التدافع ينظم العلاقة بين الأنا والآخر، ويحث علي التماس الخير للأخر، حتي ولو كان عدواً، قوله تعالى " ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم "« فصلت – ٣٤،٣٣ »، وبذلك لا يكون الصراع هو الحل ؛ لأنه يزيد من البغضاء والُفرقة ويُشعل الحروب، وإنما التدافع هو الحل لأنه ينقل حالة الآخر من العداوة إلي المحبة، حتي لأنه يشبه تحويل السيئات إلي حسنات، وهو بذلك يشكل الدافع الذي يحفز الحياة والعمران إلي التقدم الدائم. (٧٠)

استلهم محمد عمارة نظرية مهمة، أطلق عليها التدافع الحضاري، فكانت هي البديلة عنده للصراع الحضاري بين الأنا والآخر، فحوى هذه النظرية هو حل الصراعات والتناقضات عن طريق الحراك الاجتماعي والسياسي والحضاري بعيداً عن " الصراع المدمر" أو" السكون المميت "، تلك النظرية التي وضع حجر الأساس لها الدين الإسلامي وذكتها المعالم الأخلاقية لحضارته، فلم تتوقف عند التنظير فحسب، بل دخلت حيز التنفيذ العملي الذي ظهرت آثاره في تعاملها مع الحضارات الأخرى.من المهم الإشارة في هذا المقام الي تفرقة محمد عمارة بين" التدافع" و"التواكل" وتأكيده علي العدالة بين المسلمين وبين غيرهم من الأمم والحضارات في حق التدافع الحضاري، وأن القدرة التنافسية مكفولة للجميع علي قدم المساواة دون تفرقة، وأن المسلمين ليس لهم أية

ميزة ـ لأنهم مسلمون ـ علي غيرهم في ذلك، وبالتالي فإنهم مندوبون الي استعمال العقل البشرى في البناء والتقدم والتنافس الحضاري والحفاظ علي القيم التي بدأت بها هذه الحضارة، وهذه الفكرة تتقاطع مع فكرة محمد إقبال "انتهاء النبوة " في الهدف والغاية.

ملاحظات ختامية:

لا يؤمن محمد عمارة بصدام- صراع الحضارات في علاقة الأنا بالآخر، ولذلك فإنه يتبني نظرية التدافع الحضاري، التي تطبق مفاهيم مثل: مفهوم الأمة، ومعني التعددية، وصورة الآخر الديني، تلك المفاهيم الثابتة والراسخة في الثقافة العربية الإسلامية والثى تخدم ذلك التدافع، وقد أجاد محمد عمارة في تصويرها تصويراً دقيقاً. وهو علي العكس من تصور فلاسفة التاريخ أمثال " هيجل" و"ماركس " أو منظري صدام الحضارات أمثال " فوكو ياما " و" هنتنجتون " أو غيرهم من المفكرين الذين كرسوا لصدام أو صراع الحضارات.

وأخيراً، فإنه ومع كامل اقتناعي برؤية محمد عمارة، وغيره من المفكرين العرب، الذين اسهموا بصورة كبيرة وواضحة، في توضيح صورة الإسلام الحقيقية التي تحارب صراع الأنا والآخر وتسوق لعلاقة التدافع والتآخي الإنساني والعيش المشترك في سبيل تقدم البشرية، إلا أننا **نعتقد أن**:-

ــ إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر هي الوجه الأكثر وضوحاً وتأثيراً لصراع أو صدام الحضارات، فعلي الرغم من كل ما يدعيه الغرب من ليبرالية وما يرفعه من شعارات ومبادئ، فإن المفارقة تكمن في الممارسات الفعلية على أرض الواقع، والتي تثبت ــ مما لا يدع مجالاً للشك ـ تلك الازدواجية الأورو أمريكية التي يتعامل بها الغرب مع الأمة العربية والإسلامية، فما يزال الآخر ينكر علي الأنا حقه في الاستقلال وتقرير المصير، مع أنه يمنحه للأقليات الدينية والعرقية في أمم أخرى ويدافع عن ذلك بكل قوة انطلاقاً من التمسك بقيمه الحضارية، ويبدو ذلك جلياً في موقفه الداعم أيديولوجياً وعسكرياً لحرب أوكرانيا ضد روسيا، مع أن روسيا تدافع عن محيطها الثقافي والاقليمي، والداعم

بنفس القدر والقوه ، للصراع الدائر بين العرب والمسلمين من جهة، والدولة "العبرية الصهيونية " من جهة أخري، ومقارنة بسيطة بين الاثنين، نجد أن الآخر اليهودي مدعوماً من الآخر الأوروبي- والأمريكي، يتخذ موقفاً عدائياً ومتعصباً من العرب ومن الفلسطينيين خصوصاً وحقهم في تقرير مصيرهم، وهو ما يعبر عن منطق الصراع والصدام الذي يتبناه الآخر من منطلق ديني عقائدي وعرقي، وبدوافع استعمارية يقودها حب النفوذ والسيطرة، وهى كلها عوامل تؤجج الصراع بين الأنا والآخر.

ـ دعوي صراع أو صدام الحضارات، خرجت من جانب قطاع كبير من المفكرين الغربيين البارزين ولاقت صدي واسعاً في السياسة الأورو أمريكية، علي المستوي الديني والسياسي، فخلفت وراءها قضايا شائكة ومعقدة: مسالة النظام العالمي الجديد، موضوع الصراع العربي – الاسرائيلي، والصراع النووي بين دول العالم بوجه عام، والصراع الايراني – الغربي بوجه خاص، كذلك دعاوي الكراهية الدينية التي صدرت إعلامياً وفكرياً، مثل الرسوم المسيئة من المجتمع الغربي، ناهيك عن التدخلات السياسية الغربية الواضحة، أحادية المنظور والمصحوبة بالمعايير المزدوجة، في العالم العربي والاسلامي، ليس لمصلحة " الأنا " ولكن لخدمة مصلحة "الآخر" – الأورو أمريكي – ناهيك، عن المساهمة في صنع القلاقل والاضطرابات السياسية من أجل فرض النفوذ أو السيطرة الأيديولوجية أو السياسية أوالاقتصادية، ولعل أبرزها تلك النزعة الاستعمارية للعالم العربي بداية من العصر الحديث وليس انتهاءً بتفكيك دول وتدميرها مثل العراق وسوريا وليبيا، وهي كلها إفرازات طبيعية لنظرية صراع الأنا والآخر.

ـ نعتقد أنه لا يجب الاستمرار – إلي ما لا نهاية – في الحديث عن تبني الأنا للتدافع والعيش المشترك مع الآخر، مادام هذا الآخر لا يستمع إلينا في تلك الدعاوي، أو علي الأقل يجب أن تكون هذه الدعاوي مصحوبة بالعمل علي نهضة وتقدم العالم العربي والإسلامي علي مختلف المستويات: الفكرية، والدينية، والسياسية والاقتصادية،

والعسكرية، حتي تكون هذه الأمة نداً وخصماً قوياً يستطيع أن يفرض كلمته، إن لم تكن بالحوار والتدافع المتكافئ، فالبقوة الفكرية والسياسية والاقتصادية، وهي مقومات وجودية يمتلكها العالم العربي والاسلامي، وإن لزم الأمر يستخدم كل الوسائل المتاحة لديه لتحقيق ذلك التكافؤ ومنها العسكرية والنووية التي يجب أن يحصل عليها من أقرب وقت.

الملاحظ أن دعاوي الصراع والصدام صدرت من الآخر وليس الأنا !!! وهذا يدعو إلي الاستغراب، مع الحيطة والحذر، لأنها صدرت منه وهو – الآن – في موضع الأقوى والمسيطر، ايديولوجياً، واقتصادياً، وعسكرياً، وبالتالي، فإنه لن يتخلى عن تلك المكتسبات لأنها مصدر غلبته وتفوقه علي الأنا، ما أعنيه أن الآخر لن يعترف بالأنا شريكاً له في بناء الحضارة الإنسانية، وندا له يجب احترامه، إلا إذا كان هو جديراً بهذه الشراكة ويمتلك من القدرات ما يمكنه من دخول حلبة الصراع الحضاري وليس التدافع فحسب، في مختلف مناحي التقدم والغلبة.

ولنأخذ العبرة من تاريخ العلاقة مع (الآخر) اليهودي ــ الذى احتل نصيباً من هذا البحث ـ مع (الأنا) العربي والمسلم، فحينما كان، الأول، في موقف الأضعف، قومياً وحضارياً، تبنى قيم التدافع الحضاري بكل معانيها، ولنتأمل ذلك النداء الإسرائيلي الذى نشرته صحيفة النظام الماسونية في عدد ١٩ ابريل من عام ١٩٢٢م وكان موجهاً الي أهالي فلسطين " يا أهل فلسطين، تذكروا أن اليهود إخوتكم وإبناء عمومتكم...وهم اليوم يطمحون للرجوع إليكم لفائدة وعظمة الوطن المشترك العام...إن العربي والعبري صنوان في شجرة ابراهيم وأبواهما إسحق وإسماعيل، فمتى وضع أحدهم يده في يد الآخر انتفعا جميعاً بما لديهما من الوسائل المختلفة، وكان في تعاونهما تمام الخير والبركة "، وحينما أصبح الآن في مركز القوة والغلبة تبنى ـ بكل قوة ـ قيم الصراع والصدام الديني والعرقي، الذى يصل الي حد إبادة الأنا وإزالتها من الوجود.

لـم يعـد مقبـولاً فـي الوقـت الـراهن أن تستحضـر الأمـة العربيـة والإسلامية، فقط، دور هابيل في علاقته بأخيه قابيل، لأن هذا الدور كـان يناسب البشرية في بداية التعـايش الإنسـاني والتدافع بين الأمم، أمـا الآن فإنـه يُعد دوراً مثالياً، لا يتوافق مـع التنـازع والاختلاف والتنـاقض فـي حياة البشر، وإن كان هذا لا يعد ـ بالضرورة ـ دعوة منا الي استحضـار دور قابيل فقط . ولذلك فإن الأمر لن يستقيم ـ في نظرنـا ـ مع حالـة التشرذم والتفكك التي تعيش فيها الأنا في مقابل حالـة التوحد والتضـامن التي يعيش فيها الآخرون المختلفين حتى عقائدياً.

حواشي البحث:

(١)- محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الامام بخاري للنشر والتوزيع، القاهرة ط١، ٢٠٠٩ م، ص ١٩، ص ١١٧. انظر هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ، المجلد الثاني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت،٢٠٠٧م، ص ١١، ٥٠ـ ٥١. د محمد عثمان الخشت : صورة الإسلام عنـد هيجـل، مقـال فـي مجلـة الاسـتغراب، المركـز الإسـلامي للدراسـات الاستراتيجية، العدد ١٠، السنة ٤، بيروت، ٢٠١٨م، ص ٣٣، ٤٤.

(٢)- محمد عمارة: في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القـاهرة ط١، ٢٠٠٣ م، ص ٦٣. انظـر كـارل مـاركس وفريـدريك انجلـز: الأيدولوجيـة الألمانيـة، ترجمـة فـؤاد أيـوب، دار دمشـق، بيـروت، ١٩٧٦م. ص١١ ، ص٧٣، ٧٨. وقد برر ماركس وانجلز غزو الهند والجزائر ورأى ماركس أن علي انجلترا تحقيق رسـالة مزدوجـة فـي الهند، الأولـى تدميريـة، والثانية إحيائيـة، افنـاء المجتمـع الآسيوي ، وإرسـاء الاسـس الماديـة للمجتمـع الغربـي، انظـر د مجـدي الجزبـري: كلـوديفي شـتراوس عنصـرية النظـام العـالمي، دار الوفـاء لـدنيا الطباعـة والنشـر، الإسـكندرية، ط١، ٢٠٠٠م، ص١١

(٣)- محمد عمـارة: الحضـارات العالميـة تـدافع أم صـراع، نهضـة مصـر للطباعـة والنشر والتوزيـع، القـاهرة ط١، ١٩٨٨، ص.٧ ، انظـر عصـام الـدين حفنـي ناصـف: نظرية التطور، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٢٣، ٢٤.

(٤)- محمد عمارة: في فقه المواجهة بين الغرب والاسلام، مرجع سابق، ص ١٠٠. وانظر: فرانسيس فوكو ياما: نهاية التاريخ والانسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون، مركز الانماء العربي، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٣، ٢٤ , وقد أعلن فوكو ياما تأثره الواضح بفلسفة هيجل وماركس، فعند هيجل تتجلي نهاية العالم في الدولة الليبرالية، أما بالنسبة لماركس ففي المجتمع الشيوعي.

(٥)- محمد عمارة: في فقه المواجهة بين الغرب والاسلام، مرجع سابق، ص ١٠١.

(٦)- محمد عمارة: الاسلام والتعددية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ،٢٠٠٨ م، ص ٨١. وانظر صمويل هنتنجتون: صدام الحضارات اعادة صنع النظام العالمي الجديد، دار سطور ط ٢، القاهرة، ١٩٩٩ م ص ٨٩-٩٠، ٥٠٤-٥٠١، ٥٢٠-٥٢٢.

(٧)- محمد عمارة: الحضارات العالمية تدافع أم صراع، مرجع سابق، ص ١٣، ١٦ . ولهذا فقد فسر البعض نظرية هنتنجتون علي أنها ليست مجرد طرح شخصي، بقدر ماهي تلخيص نظري سياسي لمجمل العلاقات الدولية بين الغرب والحضارة الإسلامية. انظر. د احمد القديدي : الإسلام والصراع الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ط١،١٤١٥هـ /١٩٩٥م، ص١٤٠

(٨)- محمد. عمارة: في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، ص ٩٤، محمد عمارة: الحضارات العالمية، تدافع أم صراع، مرجع سابق، ص

(٩) ـ محمد عمارة: الغزو الفكري وهم أم حقيقة، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر، مطابع روز اليوسف، القاهرة، ١٩٨٨م. ص ١١٧.

(١٠)- محمد عمارة: هل المسلمون أمة واحدة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣

(١١)- محمد عمارة: الطريق إلي اليقظة الإسلامية، دار الشروق، ط ١ ، القاهرة، ١٩٩٠ م ص ١٣

(١٢)- محمد عمارة: الاسلام في مواجهة التحديات، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٧م،ص ١٤٦

(١٣)- محمد عمارة: الطريق إلي اليقظة الإسلامية، مرجع سابق ص /٢٩ /٣٠

(١٤)- المرجع السابق: ص٣٠
(١٥)- نفس المرجع: ص ٣٠
(١٦)- نفس المرجع: ص ٣٥،٢٢، ٣٨، ٣٩، ٤٠
(١٧)- محمد عمارة: الاسلام والتعددية، مرجع سابق، ص ١٣
(١٨)- محمد عمارة: الطريق إلي اليقظة، سابق ص ٤٣، ٤٤، وانظر محمد عمارة: الدين والدولة، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨٦ م، ص ٣٠، ٣١.
(١٩)- المرجع السابق ص ٢٧، ٢٨.
(٢٠)- المرجع السابق: ص ٣٢-٣٣، محمد عمارة: هل المسلمون أمة واحدة، مرجع سابق، ص ١٥
(٢١)- محمد عمارة: الطريق إلي اليقظة الإسلامية، ص ٣٥.
(٢٢)- محمد عمارة: هل المسلمون أمة واحدة، مرجع سابق، ص ٢٣.
(٢٣)- د. حليمه الشيخ: صورة الآخر في الاسلام، محمد عمارة نموذجاً، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية ، جامعة وهران – الجزائر، العدد ٧، ٢٠١٧ م، ص ٢٩٤
(٢٤)- محمد عمارة: الغرب والإسلام، أين الخطأ ؟ مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ٢٠٠٤م، ص٣٧، نقلاً عن د. حليمة الشيخ: صورة الآخر، مرجع سابق، ص٢٩٢.
(٢٥)- محمد عمارة: الطريق الي اليقظة الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٤،٤٣.
(٢٦)المرجع السابق، ص ٣٦، ٣٧
(٢٧) ـ محمد عمارة: العطاء الحضاري للإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٨١، ٨٢
(٢٨) ــ محمد عمارة: الطريق إلي اليقظة، مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩، د محمد عمارة: الإسلام والوحدة الوطنية، كتاب الهلال، العدد ٣٣٨، القاهرة،١٣٩٩هـ /١٩٧٩م، ص٥٥، ١٧٠، ١٧٢.
(٢٩ــ محمد عمارة: الغرب والاسلام، اين الصواب وأين الخطأ، دار الاعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٥١،٥٢.

(٣٠) ـ محمد عمارة: العطاء الحضاري للإسلام، سابق، ص ٨١، ٨٢، محمد عمارة: الاسلام والآخر، مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٣١)ـ محمد عمارة: العطاء الحضاري، سابق ص ٨٣. محمد عمارة: الاسلام والآخر، سابق , ص ١٥٠

(٣٢) ـ محمد عمارة: الغرب والاسلام، اين الصواب واين الخطأ، سابق ص ٨

(٣٣) ـ المرجع السابق: ص ٨٣، ٨٤، محمد عمارة: الاسلام والآخر، سابق، ص ٧٢

(٣٤)ـ محمد عمارة: الاسلام والآخر، سابق ص ١٨

(٣٥) ـ محمد عمارة: العطاء الحضاري، سابق، ص٨٤

(٣٦)- محمد حسيني ابو سعده: الاستشراق والفلسفة الإسلامية، دار ابو حريبه للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٥ م.ص ٥٠-٥٨.

(٣٧)- محمد عمارة: هذا هو الاسلام (٤) الموقف من الديانات الأخرى، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ٢٠٠٥ م، ص ١٢، ١٣

(٣٨)- المرجع السابق: ص ١٣.

(٣٩)- محمد عمارة: الاسلام والغرب " افتراءات لها تاريخ "، مركز الاعلام العربي، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ص ٥٢، محمد عمارة: هذا هو الاسلام، مرجع سابق، ص ١٩، ٣٠، ٣١، الاسلام والآخر: سابق، ص ٢١، ٢٢

(٤٠) ـ د محمد عمارة:الإسلام والآخر، مرجع سابق، ٥٧.

(٤١)- محمد عمارة: الاسلام وحقوق الإنسان، مجلة عالم المعرفة، العدد ٨٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو، ١٩٨٥، ص ٢٠-٢٢

٤٢)- سيد حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميدان الإسلام، دار ماجد عسيري، جده السعودية، ٢٠٠٤ م، ص ١٩٥.

(٤٣)- محمد اقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة / عباس محمود، مراجعة / عبدالعزيز المراغي، د. مهدي علام، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨، ص ١٤٤

(٤٤)- محمد عمارة: الاسلام وحقوق الانسان، مرجع سابق، ص ٢٢

(٤٥)- محمد عمارة: الاسلام والآخر، سابق، ص ٢١، ٢٢، ومحمد عمارة: هذا هو الاسلام، سابق , ص ١٢

(٤٦)- محمد عمارة: الاسلام والآخر , مرجع سابق، ص ٦، ٢٧، ومحمد عمارة: هذا هو الاسلام، (٤) مرجع سابق، ص ٩

(٤٧)- محمد عمارة: في فقه الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٤٨)- المرجع السابق: ص ١٤٣ , ١٤٤ , محمد عمارة: الاسلام والآخر، مرجع سابق، ص ٢٧، ٢٨، محمد عمارة: هذا هو الاسلام (٤)، ص ٢١، ٢٢، وعن نصوص صحيفة المدنية: انظر مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، نقلاً عن وهبه الزحيلي: مفهوم المواطنة من المتطور الإسلامي , مجلة التسامح. سلطنة عمان السنه ٤ – العدد ١٥، ٧، ١٤هـ، ٢٠٠٦ م، ص ١٧، ١٨.

(٤٩)- محمد عمارة: في فقه الحضارة، سابق، ص ١٤٤.، محمد عمارة: الاسلام والآخر، سابق، ص ٢٨، ٢٩، محمد عمارة: هذا هو الاسلام (٤)، ص ٢٢

(٥٠)- محمد عمارة: هذا هو الاسلام , (٤) , سابق , ص ٢٢

(٥١)- محمد عمارة: الاسلام والآخر , مرجع سابق , ص ٢٩- ٣١ , ٥٢ , ٥٣ , ٧٠ , ٧١ , ٧٤

(٥٢) ــ د. أحمد القديدى: الإسلام والصراع الحضاري، مرجع سابق، ١٥، ١٦،١٤٤.

(٥٣)- المرجع السابق: ص ٧٩.

(٥٤)- محمد عمارة: في فقه الحضارة الاسلامية، مرجع سابق، ص ١٤٤، الاسلام والآخر: مرجع سابق، ص ٧٩، هذا هو الاسلام (٤) , سابق، ص ٢٩، ٣٠، الاسلام والغرب " افتراءات لها تاريخ "، سابق، ص ٥٢، ٥٣. وانظر في ذلك مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة – نقلاً عن د. محمد عمارة: الاسلام والآخر، من يعترف بمن ؟ ومن ينكر من ؟ سابق ص ١٦٠ وثيقة النبي (ص) لأهل نجران (الملاحق)

(٥٥)- محمد عمارة: في فقه الحضارة الاسلامية، سابق، ص ١٤٥

(٥٦)- محمد عمارة: الاسلام والآخر، سابق، ص ٨٤ , ٨٦ , ١٣١. الاسلام والغرب " افتراءات لها تاريخ " سابق، ص٥٣، ٥٤.

(٥٧)- محمد عمارة: في فقه الحضارة الاسلامية، سابق، ص ١٤٥.
(٥٨)- محمد عمارة: الاسلام والآخر، سابق، ص ١٥٢، الاسلام والغرب، سابق، ص ٤٦، ٤٧
(٥٩)- محمد عمارة: العطاء الحضاري للإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠١٤ م، ص ٨٥
(٦٠) - المرج السابق: ص٨٥
(٦١)- محمد عمارة: عالمنا حضارة واحدة أم حضارات، دار الوفاء، القاهرة ط١، ١٩٩٧، ص ١٥
(٦٢)- محمد عمارة: فقه المواجهة، سابق، ص١٤١.
(٦٣)- محمد عمارة: إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٥.
(٦٤)- محمد عمارة: عالمنا حضارة واحدة أم حضارات، سابق ص ١٤
(٦٥)- محمد عمارة: الاسلام والتعددية، سابق , ص ٢٦.
(٦٦)- محمد عمارة: الاسلام وضرورة التغيير، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٧ م، ص ٨٥.
(٦٧)- محمد عمارة: في فقه المواجهة – مرجع سابق، ص ٧٠
(٦٨)- محمد عمارة: مقال في السنن الإلهية الكونية والاجتماعية، دار السلام – القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٢٥، ٢٦.
(٦٩)- محمد عمارة: أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة ١٩٩٠ م، ص ٣٤
(٧٠)- محمد عمارة: التعددية ،الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، نهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة، ١٩٩٧ ص ١٩.